

اجتهادات حسرة على القاهرة

أعادنى نبأ هدم فندق ومبنى الكونتنتال فى شارع فؤاد “62 يوليو” إلى زمن القاهرة الخديوية الجميلة التى لم يبق منها إلا ذكريات، وبقايا طراز معمارى جميل هُزم فى معركة غير متكافئة مع تحالف الإهمال والفساد والقبح والعشوائية.

مضى زمن كان ذلك المبنى، الذى احتضن لقاءات صارت من أهم أحد تاريخنا الحديث، جزءاً من إحدى أجمل مناطق المدن الحديثة فى العالم. على بُعد أمتار من هذا المبنى، يوجد ميدان لم يعد له من اسمه نصيب (ميدان الأوبرا)، وحلت مكانه مبان قبيحة مكان معالمه الأساسية التى عبرت فى حينها عن مرحلة خطت فيها مصر خطوات إلى الأمام، قبل أن ترتد على أعقابها فى العقود الأخيرة.

وجاء زمن صار البكاء على معالم تلك المنطقة فرض عين على كل من يدرك دلالة التدهور الرهيب الذى حل بها فى علاقته مع ارتدادنا المريع إلى ما قبل العصر الحديث. وقد تراكت عوامل هذا الارتداد على مدى عقود فى نظامنا السياسى والاجتماعى، وثقافتنا السائدة، وأنماط حياتنا، وطرق تفكيرنا. وصارت البدائية عنواناً لهذا كله.

وفقدت شوارع وسط القاهرة ومبانيها فى هذا السياق طابعها المميز

المعماري والجمالي والحضاري، بينما يفتقر من يكلفون بترميم بعض مبانيها وتجميل بعض آخر منها إلى معرفة تاريخها، ويفتقدون بالتالي الحس الجمالي الملائم لها.

والمحزن أن الكثير من المصريين الذين يعيشون الآن لا يعرفون كيف كانت القاهرة الخديوية، رغم وجود عدة كتب مهمة منها كتاب استعمرته من مكتبة أحد الأصدقاء قبل عدة أشهر عنوانه “التطور العمراني لشوارع مدينة القاهرة من البدايات حتى القرن الحادي والعشرين، للاستاذ فتحي حافظ الحديدي الذي تخصص في توثيق تاريخنا العمراني والحضاري

وهذا الكتاب مرجع مهم في تاريخ شوارع القاهرة التي حدث فيها تغيير مستمر توسيعاً وتعميراً، ثم تشويهاً في العقود الأخيرة. ويسهل استنتاج مدى هول هذا التشوه من مطالعة كيف كانت شوارع وسط القاهرة، وما أصبحت عليه الآن. ولذلك يتحسر من يطالعه بسبب هول التغيير الذي حدث في منطقة وسط القاهرة وشمل الكثير من مبانيها وطمس غير قليل من معالمها التاريخية والحضارية، فضلاً عن المظاهر الجمالية التي سحقها القبح بلا هوادة.